سينما

بيروت مُغلقة كصالاتها

أيكون الافتراضيّ حلاً... دائماً؟

يزداد الوضع اللبناني تعقيداً وغموضاً بخصوص المقبل من الأيام، والأزمات تشتدّ، وصالات السينما مغلقة، رغم إنجاز أفلام لبنانية عدّة أخيراً

نديم جرجوره

تتلاحق أحداث بيروت، وغالبيتها الساحقة مأساوية. تزداد الأمور تعقيداً. لا حلول ولا آفاق مفتوحة على خلاص، وإنْ يكن مؤقّتاً. الانهيارات تتفنّن في تحقيق أفعالها. كلّ شيءٍ مُعطّل. العزلة تدفع إلى خياراتٍ، يُفرض على المرء التأقلم معها. لا أفكار ثابتة ولا تأمّلات واحدة. تتبدّل الأمور يومياً، وأحياناً في كلّ لحظة. هذا مُتعِب. هذا يُحطّم كلّ أملٍ بوقتٍ من أمانٍ مفقود، وإنْ يكن الأمل وهماً. هذا يُشوّه معنى العزلة، إنْ يختار المرءُ عزلته بإرادته. العزلة في منزلٍ تمنح مساحة أمانٍ قليل، وهذا كافٍ، فالخارج ملعون وعنيفٌ وقاسٍ.

تتطلّب العزلة مفردات عيش، تُفرض معها متطلّبات، بعضها مرتبطٌ بالمهنة. الصالات السينمائية في لبنان مقفلة، ككلّ شيء آخر، في السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة والاجتماع. أفلامٌ لبنانية عدّة تُنجَز بين نهاية 2020 وبداية 2021، يُعرض بعضها في مهرجاناتٍ دولية وعربية في أوروبا، لكنّها غير متمكّنةٍ من بلوغ مُشاهِد لبناني واحد، رغم قلّة عدد المشاهدين اللبنانيين للأفلام اللبنانية عامة. المُشاهدة الافتراضية حاصلةٌ. مهرجانات دولية وعربية تميل، أكثر فأكثر، إلى دوراتٍ افتراضية، مع محاولة إيجاد فسحةٍ للواقعيّ، خصوصاً تلك المُقامة في أوروبا. بيروت مُغلقة. ضجيج الحياة في نهاراتها أشبه بنعيق بوم فوق جثث عفنة، تنتظر دَفْناً غير حاصل، لا الآن ولا لاحقاً. ليل المدينة كابوسٌ يتفنّن في ابتكار لعناته. نهار المدينة موحش، والأمكنة القليلة المفتوحة تمتلئ، يوماً تلو آخر، بشقاء وقهر ومخاوف وتعب. الصالات اللبنانية كلّها مغلقة، وبعض الاختراقات نادرٌ وقليل. لا سينما في المدينة. لا سينما في شارعٍ يُعرف، سابقاً، بأجمل شوارع المدينة، وبكَوْنه نبضها. لا شاشات ولا ملصقات ولا مقاعد، ولا أضواء تمهّد لأحلى عتمةٍ. العزلة المنزلية راحة وأمانٌ، لكنّ استمرارها يُثْقِل المرء بمزيدٍ من خيباتٍ ووحدة ومَواجع وأرق.

مُشاهدة أفلامٍ عبر روابط ومواقع تُلبّي حاجة المهتمّ إلى المتابعة والعمل. هذا جيّد. هذا ضروريّ. لكنّ المهتمّ يسأل: أيُشكّل اعتياد مُشاهدة كهذه عائقاً أمام تواصل مختلف مع السينما، أم أنّ المشاهدة نفسها أفضل وأكثر انسجاماً مع رغبته في ابتعادٍ عن آخرين، يُشاركونه المُشاهدة في صالة واحدة؟ أينسى المهتمّ إزعاجَ مُتفرّجين كثيرين في مُشاهدات تجارية في صالة واحدة؟ أينسى تفوّق زملاء مهنة عليهم في ممارسة الإزعاج، في مُشاهدات صحافية سابقة، في صالة معتمة؟ المُشاهدة في العزلة المنزلية صائبةٌ. التوق إلى طقوسٍ قديمة ينعدم كلّياً، مع تبدّد كلّ رغبة في مُشاركةٍ تتعطّل مع زملاء ومتفرّجين، غير مستحقّين بهاء صالة معتمة وفضاءاتها.

هذا كلامٌ مُكرّر، أقلّه منذ تفشّي وباء كورونا في العالم، مطلع عام 2020. لكنّ بيروت ضاغطةٌ، وضغطها قاتل. الحاجة إلى متنفّسٍ خارجها يحول دونه إغلاقٌ تام في البلد وخارجه. الرغبة في سفرٍ إلى مهرجانٍ سينمائيّ . في لحظة ظهور نَوْع جديد من كورونا، أو بدء مرحلة جديدة من مراحله غير المنتهية، كما يبدو . تتعطّل أمام إغلاق مطاراتٍ أوروبية كثيرة، بينما يُقال إنّ إقامة الدورة الـ74 لمهرجان «كانّ» السينمائي واقعياً، بين 6 و17 يوليو/ تموز 2021، ربما

> ضجيج الحياة في بيروت أشبه بنعيق بومٍ فوق جثثٍ عفنة

تُسهِّل الحصول على تأشيراتٍ لمحتاجين إليها. هذا مؤشّر جيّد، رغم صعوبة السفر، فلبنان خاضعٌ لابتزاز مصرفيّ، وودائع كثيرين منهوبةٌ، والتحويلات بالعملة الأميركية أو الأوروبية صعبة، إنْ لم تكن مستحيلة. الدورة المُنتظرة لمهرجان «كانّ»، المُقامة في وقتٍ لاحق على الموعد السنوي المعتاد (مايو/ أيار)، تتطلّب شروطاً يُفترض بالجميع التزامها، فالوباء متفشٍّ، وفرنسا تخضع لإغلاق تام بين حينٍ وآخر، والنقاش صاخبٌ حول علاقة السلطة الرسمية بالثقافة والفنون، وحول كيفية دعم الأولى لها. الخبر، الذي يُنتظر تحقّقه فعلياً، يقول إنّ صالات فرنسية ستُفتح في 19 مايو 2021. الوقت قريبٌ. النتيجة تظهر بعد أيام.

أفلامٌ لبنانية جديدة غير متمكّنةٍ من بلوغ مكانها اللبنانيّ، بعد عروضٍ أولى لبعضها في الدورة الـ71 لـ«برلينالة»، المُقامة افتراضياً بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021: «دفاتر مايا» لجوانا حاجي توما وخليل جريج، و«ع أمل تجي» لجورج . بيتر بربري، و«أعنف حبّ» لإليان الراهب. في الدورة الـ11 لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)»، المُقامة افتراضياً أيضاً بين 6 و11 إبريل/ نيسان 2021، يُعرض «قلتلك خلص» لإيلي خليفة. هذا يختلف تماماً عن عرضٍ لبنانيّ مطلوب. الصالات مغلقة. الانتظار ربما يكون طويلاً. المُشاهدة الافتراضية صائبة، ولعلّها تكون الوحيدة المتاحة، في أشهر (أو ربما أعوام) عدّة مقبلة. مخرجو هذه الأفلام (وأفلام أخرى أيضاً) ومخرجاتها يُفضّلون دائماً عرضاً في صالةٍ ذات شاشةٍ كبيرة. يشتغلون أشهراً طويلة في إنجاز مشاريع لهم. يجهدون في تقديم الأفضل، معالجةً وتنفيذاً وجماليات؛ وفي تحقيق الأهمّ، تقنياً ودرامياً ولغة. يقول بعضهم إنّ وقتاً طويلاً يمضونه في اشتغالٍ على الصوت والتوليف، وعلى إشاعة مناخٍ بصريّ يرونه الأجمل والأحسن لما يبغون قوله أو سرده أو متابعته. لذا، يُصرّون على صالةٍ تمتلك تقنيات حديثة، لتبيان جهدٍ يبذلونه، واشتغالٍ يطمحون إلى الأكمل فيه. لكنّ الصالات مُغلقة، والبلد مُنهار، والمستقبل مَقتول. هذا كلّه لا وقتَ نهائياً معروفاً له. فهل يكون الافتراضيّ حلاً، في السينما، وفي غيرها أيضاً؟

خليل جريج وجوانا حاجي توما في باريس 2021: أين «دفاتر مايا»؟ (آلان جوكار/ فرانس برس)

«الإسماعيلية» تُكرِّم كمال رمزي: مؤرِّخ اللحظة

لكمال رمزي حضورٌ في فصلٍ تاريخيّ أساسيّ من الكتابة النقدية السينمائية المصرية. فصلٌ يرتبط بمرحلةٍ ثرية بمعطيات وتأسيسات واشتغالات، تحصل في السينما المصرية والعربية في آنٍ واحد، فيكون رمزي، المُكرَّم في الدورة الـ22 (19 . 25 مايو/أيار 2021) لـ«مهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة»، شاهداً ومؤرّخاً، والتأريخ معه مُتحرّر من أدوات العلم والتنقيب، لانهماكه في كتابة اللحظة، وكاتب اللحظة مؤرّخ أحياناً، كقول ألبير كامو عن أنّ الصحافيّ «مؤرّخ اللحظة». تأريخ اللحظة غير منتقص من الفعل النقديّ في كتابات كمال رمزي. مقالاته تمزج بين تحليل وسردٍ، وبهذا تُصبح قراءتها بعد سنين على كتابتها أشبه برحلةٍ إلى الوراء، لمعرفةٍ واطّلاع على خفايا لحظة، ونتاجاتها. حواراته مُسَبّعةٌ بالمزيج نفسه، فمن يُحاورهم يمتلكون رصيداً في الذاكرة، ونتاجاً في المشهد، وحيويةً في التاريخ والحاضر. أسئلته، في تلك الحوارات، ترتكز على حكاياتٍ وانفعالاتٍ، لكنّها تنحو مع المُحاوَر إلى شيءٍ من تفكيك ونقاش وتذكّر.

ينتمي رمزي إلى جيلٍ مؤسِّس لمرحلةٍ أخرى من سيرة النقد السينمائي في مصر. بدايته لاحقةٌ على «نكسة 67» (5 . 10 يونيو/حزيران 1967)، وهذا غير عابر،

> جيل مؤسّس لمرحلة أخرى من سيرة النقد السينمائي المصري

فالنكسة تطرح أسئلة جمّة في مناحي الحياة والتفكير والعلاقات والمواقع، في السياسة والاقتصاد والثقافة والفنون. للسينما، في هذا كلّه، مكانة أساسيّة، تُتيح لكمال رمزي فرصة المواكبة الشاهِدة، التي تدفعه إلى معاينة حسّية لأحوال تلك المرحلة، وللأحق بها أيضاً، والمعاينة معه تقرأ وتُحلّل وتروي، وهذا كافٍ ومطلوب. ارتباط السينما بالثقافة والتحوّلات، التي تشهدها مصر بعد النكسة، أساسيّ في شؤون مصرية وعربية، يصعب الفكاك منها بسهولة.

هذا تحريضٌ لكمال رمزي على مزيدٍ من المواكبة الشاهِدة، ومن التحليل والنقاش. اشتغاله في صحفٍ ومجلات مصرية وعربية، في أعوامٍ مختلفة، تأكيدٌ على انفتاحٍ يبغيه الناقد المصري، لتواصل مع نتاجاتٍ تنعكس . في بعضها على الأقلّ . وقائع وتبدّلات وأحداثٍ وحالاتٍ وانفعالات، يكترث رمزي بها ويتابعها.

هذا واضحٌ في كتبٍ، يُصدرها منذ منتصف ثمانينيات القرن الـ20. عناوين تشي بتنويع القراءة والمتابعة والاهتمام، ومضامين تلتزم طريقةً في الكتابة النقدية، ترتكز على ثلاثية السرد والذاكرة والتحليل. رغم هذا، يطغى المصريّ على غالبية إنتاجاته وكتاباته، ما يُحمّله مسؤولية تاريخية، يُتقن إيفاءها شروطها، بتحويله إنتاجاته وكتاباته شهاداتٍ عمليّة على مسار السينما المصرية وتحوّلاتها ومآزقها، وجوانب مختلفة في صناعتها.

في تحديد سبب اختيار كمال رمزي لتكريمه في الدورة المقبلة لـ«مهرجان الإسماعيلية»، يُشدّد عصام زكريا (الناقد ورئيس المهرجان) على «حبّ» المُكرَّم للسينما، مُشيراً إلى أنّ الحبّ واضحٌ في تسطيره مقالات وكتباً، بعضها مرجعٌ في شؤون صناعة السينما ونجومها وخبريّاتها.

ندي...

كمال رمزي: تاريخٌ عام في ناقدٍ سينمائيّ (فيسبوك)

أقوالهم

إذا كنا لا ندرك العلاقة بين ظهور السينما الغنائية وتحسين الأداء الموسيقيّ والتوزيع الأوركستراليّ في الأغنية العربية، فلا نستطيع إغفال أنّ هذا التحسّن واكَب ظهور السينما الغنائية وازدهارها. المستوى العام في الأداء الموسيقيّ العربيّ انحدر بشدّة بعد انحسار موجة السينما الغنائية، إلّا في مؤسّسات وفرق حكومية مدعومة.

فكتور سحاب

كتابة سيناريو مسألة صعبة دائماً، ولا تُصبح أسهل مع الوقت. الكتابة للمسرح تأتيني طبيعياً، أكثر من الكتابة للشاشة. ربما لأنّي، عندما انطلقت، كنتُ أعتقد - يا لسذاجتي - أنّ الكتابة الفيلمية أسهل، كونها - وفق اعتقادي حينها- تمنحك حرية أكبر في إدخال تغييرات على النصّ. لاحقاً، تبيّن لي أنّها أصعب، إذْ عليك أنْ تكون أكثر تنظيماً.

كريستوفر هامبتون

أفعالهم

«أعنف حبّ» لإليان الراهب (الصورة): عاش ميغال 37 عاماً في إسبانيا، التي وصلها منهكاً من لبنان، بعد معاناته الكثيرة في بلده قبل السفر، بسبب مثليّته الجنسية. لكنّ الفيلم يروي حكاية ميغال، الذي أصبح مترجماً فورياً في مؤتمرات دولية مختلفة، ويسرد وقائع من حياته في المنفى الإسبانيّ، ومن ذاكرته المتعلّقة بالحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990).

De Nos Freres Blesses لإيليبه سيسْتَرْن، تمثيل فيكي كريبس (الصورة) وفانسان لاكوست: عام 1956، يُقبض على فرنان، العامل المثاليّ الانفصالي، في الجزائر العاصمة، بعد تفجيره قنبلة في المصنع الذي يعمل فيه، من دون أنْ يُسفِر الانفجار عن قتلى وجرحى. يُحكم عليه بالإعدام، فتنقلب حياة إيلين رأساً على عقب، إذْ باتت «زوجة الخائن».

أخبار

◆ احتفلت «بروميير» المجلة السينمائية الفرنسية الشهرية، في عددها الصادر في إبريل/ نيسان 2021، بمرور 20 عاماً على إنجاز أول نسخة سينمائية من السلسلة التلفزيونية «ملائكة تشارلي» التي عرفت نجاحاً كبيراً وشهرةً جماهيرية واسعة، عند عرض حلقاتها الـ115 بين 22 سبتمبر/ أيلول 1976 و24 يونيو/ حزيران 1981، على شاشة الشبكة التلفزيونية الأميركية ABC. فالفيلم الأول مُنجز عام 2000، بتوقيع جوزف ماكجنتي نيكول، وتمثيل كاميرون دياز ودرو باريمور ولوسي ليو وبِل موراي. وحقّق 264 مليوناً و105 آلاف و545 دولاراً أميركياً كإيرادات دولية، لقاء 93 مليون دولار أميركي ميزانية إنتاج. والاحتفال المذكور تمثّل بمقالة طويلة لفرنسوا غرولي، استعادت تاريخ السلسلة التلفزيونية بناء على اقتباساتها السينمائية، فهناك فيلم بعنوان «ملائكة تشارلي: خنق كامل» (2003)، للمخرج نفسه (الذي يختصر اسمه بـ ماك ج)، حقّق 259 مليوناً و175 ألفاً و788 دولاراً أميركياً كإيرادات دولية، في مقابل 120 مليون دولار أميركي ميزانية إنتاج.

◆ يقول إتيان أولاّنييه (موزّع سينمائيّ فرنسي)، بعد إعلان رسميّ عن السماح بفتح الصالات السينمائيةً في فرنسا، بدءاً من 19 مايو/ أيار الجاري، إنّ الأمر لن يكون سهلاً «إذْ لدينا 450 فيلماً تأخّر إطلاق عروضها التجارية رغماً عن الجميع، وسيكون صعباً للغاية إطلاقها كلّها في وقتٍ واحد، ضمن شروطٍ جيّدة مطلوبة لأمرٍ كهذا». الموعد المحدّد ينتظره فرنسيون كثيرون منذ أشهر عدّة، ويقول مُشاهد لصحفٍ مختلفة إنّه توّاقٌ إلى روائح الـ«بوب كورن» والحلويات، ومشتاقٌ إلى «الجوّ المتكامل» الذي تصنعه صالة السينما في الواقع: «سأكون موجوداً في الصالة منذ 19 مايو/ أيار المقبل. أتمنّى ألاّ أكون لوحدي حينها». يُذكر أنّ شركات توزيع فرنسية عدّة قالت إنّ الأيام الأولى لإعادة فتح الصالات ستشهد إطلاق عروض نحو 40 فيلماً جديداً، على أنْ تُعرض الأفلام الأخرى في برمجةٍ لاحقة، يُعلن عنها عند جهوزها. كما أفادت معلومات صحافية، نقلاً عن متابعين، أنّ هناك إمكانية لإطلاق 25 فيلماً جديداً كلّ أسبوع، في مقابل 10 أفلام فقط في ظلّ التشدّد في فتح الصالات، بسبب تفشّي وباء كورونا.